الحب في القرآن والسنة

بقلم
الأستاذ الدكتور محمد بن الشريف

لا يجد حلاوة الإيمان إلا من أحس حرارة الحب .

بهذا حكم رسول الله ﷺ عندما قال في حديثه النبوي الشريف الذي رواه الشيخان : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

وديننا الإسلامي أمرنا بالحب . . ودعانا إليه . . وحضنا عليه ، يقول رسول الإسلام عليه أزكى صلاة وسلام : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا آل البيت لحبي » (رواه الترمذي) .

وبهذا يدعو الإسلام إلى المحبة ، محبة الله ، ومحبة رسول الله ﷺ ، ومحبة العقيدة ومحبة الخلق كما جعل الله سبحانه المحبة بين الزوجين من آياته سبحانه ، ومن دلائل قدرته ، يقول تباركت أسماؤه : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[1]

فالحب سمة من سمات الحياة الروحية في عقيدة المؤمن ، وعاطفة لها وزنها

---

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

فى الجو الإسلامى والمحيط الدينى ، وما فرح المسلمون بشىء بعد فرحهم بكلمة التوحيد ، كما فرحوا بكلمة الحب . .

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، متى الساعة ؟ فقال له عليه الصلاة والسلام : وماذا أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كثير صلاة ، ولا صيام ولا صدقة ، إلا أنى أحب الله ورسوله . فقال له عليه الصلاة والسلام : « المرء مع من أحب » .

قال أنس بن مالك ـ وهو راوى هـذا الحديث الشريف ـ : ما رأيت المسلمين فرحوا بعد إسلامهم كفرحهم بذلك .

فرح المسلمون بأمر الحب ، وشغلهم ما فرحوا به . . شغلهم الحب ولا غرو ، فقد سمعوا رسول الله ﷺ عندما يناجى ربه يدعوه ويسأله الحب ، ويتوجه إليه متوسلا قائلا : اللهم إنى أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك . (رواه الترمذى) .

والإيمان فى الإسلام قائم على المحبة ، ومؤسس على المودة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء إن فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » (رواه مسلم) فجعل دخول الجنة متوقفاً على الإيمان ، وجعل الإيمان متوقفاً على المحبة ، فالمحبة شرط فى الإيمان وركن فى العقيدة وأساس فى الدين .

والمحبة كذلك شرط فى استكمال الإيمان وتمامه : « من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان » (رواه أبو داود) . فالإيمان أساسه الحب ، وكماله بالحب ، وأوثق عراه الحب ، قال عليه الصلاة والسلام لأبى ذر : يا أبا ذر ، أى عرى الإيمان أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال عليه السلام : « الموالاة

فى الله والحب فى الله » (رواه البيهقى عن ابن عباس) .

وروى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال : « من أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله » .

هذا هو الإيمان : قاعدته وركيزته حب ، وسنامه وذروته حب ، وبناؤه حب ، وتمامه وكماله وجماله بالحب . . حب الله وحب رسول الله ـ ﷺ ـ الذى يقول : « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ، ونفسه التى بين جنبيه ، ومن الناس أجمعين »[1] .

وقال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » .

فقال عمر : والله يا رسول الله ، لأنت أحب إلى من كل شىء حتى من نفسى . فقال عليه الصلاة والسلام : الآن ، يا عمر »[2] .

وحب الخير للغير من كمال الإيمان ، قال رسول الإنسانية عليه أفضل صلاة وأتم سلام : « لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » وقال: من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله »[3] .

ومن محبة المولى المشرع تتبع محبة شرعه وشريعته ، ومحبة من نزلت عليه شريعته ، ومحبة كلامه سبحانه ـ ومحبة من نزل عليه كلامه . (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)[4] أجل ، يحببكم الله ، فالله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه مسلم وأبو هريرة عن ابن عباس .

(٢) أى . الآن كمل إيمانك . وهذا الحديث رواه الشيخان .

(٣) رواه الحاكم عن أبى هريرة .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣١ .

يحب : يحب من أحب دينه ، وكلامه ، ورسوله ، واتبع شريعته .. يحب من أقبل عليه ، وأناب إليه ، وأخلص له ، وأطاع أمره ، وطرق بابه ولاذ إلى رحابه . .

يحب الذين يتسامون فى حبهم إلى الذروة بالتضحية والاستشهاد والجهاد فى سبيل الله ، وفى سبيل إعلاء كلمته ، ونصرة دينه ، « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص »[1] وقد صرح القرآن الكريم فى عديد من آياته بهذا الحب ، فالمولى جلت قدرته يحب التوابين ويحب المتطهرين ، ويحب المحسنين ويحب الصابرين والمتقين ، وهو سبحانه يلقى محبته على من يحبه ، يقول تعالى لكليمه موسى عليه السلام « وألقيت عليك محبة منى »

والمؤمنون يحبون ، ومحبتهم الأقوى لله ، مصداقا لقول الله (والذين آمنوا أشد حباً لله)[2] .

إنهم يحبون ، ويتقربون إلى مولاهم محبوبهم .

والحب تقرب وعطاء : تقرب من المحب ، وعطاء من المحبوب ، عن هذا يقول الحديث القدسى الذى رواه محمد عن ربه : « ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، ولئن استنصرنى لأنصرنه ، وما ترددت فى شىء أنا فاعله كترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره إساءته ، ولابد له منه » .

---

(١) سورة الصف الآية : ٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

والحب فى الإسلام منهج له حدود وطريق ، ومعالم وقيود . . ومخطط تربوى إلهى سما بالعواطف ، وهذب الأخلاق ، وشذب الغرائز ، وقدم لكل نفس ما يمنعها من الجنوح ، وما يمنعها من الزلل والانحراف ، ويأخذ بيدها حتى تصير نفساً وضاءة . . . مشرقة محبة محبوبة .

إن عالمنا اليوم الذى أوغل فى المادية ، وانحدر إلى مهاوى القلق ؛ والأثرة والأنانية . . . إن قلبه المكدود الذى يفيض بالحقد ، والضغن ، وألوان الكراهية إنه فى حاجة إلى جرعات محبة ، ورشفات مودة تأسو الجراح ، وتغسل السخائم ، وتذيب الإحن ، وتزيل المحن ، وتبدد الأثرة ، وتبيد الكره والأنانية .

ولعل الإنسانية اليوم ، فى صراعها المحموم ، وتكالبها المادى ، وجراحها الدامية ، لعل لها فى المحبة الإسلامية ما يأخذ بيدها إلى آفاق من الأمن والأمان والإيمان ، وأجواء من الإخاء والنقاء والوفاء .

وبذا تعود للإنسانية حياتها الروحية التى فقدتها ، وافتقدتها من آماد طوال .

والمدنية الحديثة بضجيجها وعجيجها ، وماديتها الشرسة ، وأوارها الملتهب ، وأنانيتها التى أورثت أمراضاً نفسية عز علاجها وندر تطبيبها . . والطب الحديث بمبضعه ، ومعامله ، وأنابيبه قد تحير أمام هـــذه الأدران والأوصاب ، ولم تستطع عقاقيره أن تصل إلى الأعماق لتزيل ما ترسب من آلام صبغت الحياة بلون قاتم ، ولونت النفس بلون أسود فاحم .

إن الحب بكل ما يحمله من معان ، وبكل ما يشيعه من أمان واطمئنان ، وبكل ما يشعه من رضا ومودة وسلام هو علاج للقلق المدنى . . . وعلاج لإنسان المدنية . . . إنسان العصر الحديث الذى فهم الحب على أنه حرية

بلا حدود . . . وانطلاق بلا قيود . . . وفوضى بهيمية . . . وإشباع غرائز حيوانية . . . فانحدر وجرفه التيار إلى مهاوى من القلق ، والأنانية ، والاكتئاب ، والاضطراب . . . يرنو إلى الخلاص . . . ولا خلاص له إلا فى الحب . . . حب الحق . . . حب النور . . . حب السلام ، والله هو الحق ، وهو النور وهو السلام ؟

أ. د. محمود بن الشريف
رئيس قسم أصول الدين بالكلية